Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتختلف عن الطبقات ، بطبيعتها الخاصة وخروج أول شعرائها عن القاعدة التى قررها ابن سلام من كتابه وهى « وليس تبدئتنا واحدا فى الكتاب نحكم له ، ولابد من مبتدأ »(١) ذلك لأن تبدئة متمم بن نويرة مقصودة هذه المرة . يقول ابن سلام « والمقدم عندنا متمم بن نويرة »(٢) .

ونتساءل أمَا كان لابن سلام أن يدمج هؤلاء الأربعة فى طبقة زملائهم الجاهليين والمخضرمين . ولاسيما أن القاعدة تنطبق عليهم ؟ .

ويجيب الاختيار نفسه ، فمن الظلم أن يقرن هؤلاء الشعراء بزملائهم ، فهم قد اتفقوا معهم بشاعريتهم واختلفوا عنهم بنكبتهم الأليمة ، فلم يحتملوا ألم الفقد ، وصدمة الحرمان وصلابة الموت ، فَهُرِعوا إلى اللغة الرحيبة ، يُنَغِّمُون أحزانهم على أوتارها ويبثونها أنينا باكيا .

وكانت اللغة وفية لهم فأعطتهم جانبها الرقيق ، بألفاظها الهادئة الداكنة وأنغامها الساكنة الحزينة ، فكانت قصائدهم الراثية .

وشعراء المراثى هم شعراء أجادوا البكاء ووجدوا فى الحزن سلوى ، وفى الرثاء نجاة من الموت غَمًّا ، فهم ينقذون أنفسهم من الموت ، بالموت مع أعزائهم . فمن الظلم أن نعتبرهم مجرد شعراء مرهفى الحس ، ولكن يجب أن يفردوا ويصيروا طبقة بذاتها ، لأنها أخلصت لفن بذاته ، والأمثلة على حالاتهم موجودة بوفرة فى أدبنا فامرؤ القيس يبرع فى الوصف ، والنابغة فى الاعتذار ، وزهير فى الحكمة،والأعشى فى الخمر ، وفى الإسلاميين نجد الغزلين والمتزهدين والمتفلسفين .

فأمر ملموس أن يخلص الشاعر لفن معين ، يحبه ويتجاوب معه ، ويطول نَفَسُه فيه ، ومهما قال فى بقية أغراض الشعر ، فهو يأتى عند غرض منه ، ويتوقف متريثا يحقق ذاته ، ويتجاوب مع فنه مظهرا خصائصه الفردية ، ومميزاته الشخصية ، فليس للشعراء قاعدة تجمعهم فى صعيد واحد ، ولو قالوا جميعا فى فن واحد وقاعدتهم الوجيدة هى الفروق الفردية بين القدرات الفنية .

---

(١) المصدر السابق ٥٠

(٢) المصدر السابق ٢٠٤